[١٣]

من اين تبدأ الغربة ؟

ـــ لقد اتيحت لي الفرصة سابقا ان أرى قصر « شيوناو » القديم المحاطة ممراته بالاسوار الحديدية ، قبل أن تعلن الحكومة النمساوية عن عدم رغبتها في اقامة مركز تجمع على اراضيها للمواطنين السوفييت اليهود السابقين الذين يتوجهون الى اسرائيل .

وانا عندما اذكر هذا المكان ليس من باب الرغبة في رسم لوحة رائعة لخندق من المياه وحاجز كئيبمن الاسلاك الشائكة التي تحيط بقصر مهجور يحمل الى حد ما تسمية شعرية « شيوناو » وهي تعني « روضة جميلة » . كذلك لست بصدد اعطاء وصف خارجي وداخلي لهذا العدد الكبير من الحراس الشبسان الذين يرتدون القمصان العسكرية الزرقاء ، ويحملون على اكتافهم الرشاشات ، والاجهزة اللاسلكية معلقة باحزمتهم السوداء الكبيرة . فالمكان الذي تحتجز فيه الادارة الاسرائيلية المواطنين السوفييت السابقين فورا بعد مغادرتهم ارضنا سواء في « شيوناو » أو في أي مركز تجمع آخر ليس هو المهم . المهم هو أمر آخر : وبالتحديد من مركز التجمع الذي يحمل طبقا للنظام المعمول به اسم المرحلة ، ومن هذه المرحلة تبدأ الرحلة مع الغربة . فمن وراء قضبان الشبابيك التي يخترقها نباح الكلاب الاخرس ، يتعرض المواطنون السوفييت السابقون على أيدي ممثلي الدولة الاسرائيلية لما يسمى بالاستجواب لعدة ساعات طوال وذلك للحصول منهم على المعلومات والتفاصيل .

ـــ بصراحة ، ان الاسئلة التي تطرح عليهم هي اسئلة تجسسية ـــ هذا ما تقوله الطبيبة لوبوف ايلينيتشنا غوردينا ، وهي مواطنة سابقة من مدينة ريغا ـــ . لقد حاولوا أن يجدوا في كل واحد منا « آلة استعلام » أو في اسوأ الحالات مزيفا . حتى النساء اللواتي كما هو معروف ، لا يستدعين في الاتحاد السوفييتي للخدمة في الجيش كما هو الحال في اسرائيل لم يفلتن من محاولة الاستجواب . لقد حاولوا الحصول منهن على معلومات حول تواجد القوات السوفييتية . كذلك طلبوا من الرجال اجوبة خطية حول هذا الموضوع . لقد استمعت باذني الى الاستجواب الذي تعرض له شاب من أوكرانيا سابقا من قبل عميل صهيوني لم يستطع أن يخفي حنقه الشديد : « الهذه الدرجة أنت ساذج ؟ ، الم تستطع ان تدرك بنفسك اننا لسنا بحاجة الى ايمانك ! » .

وتنطبق حكاية غوردينا مع حكايات : المواطن الكييفي السابق غولدنيفا ، والمواطن الريفي السابق ميشكوفنا وآخرين ، مع أنهم تواجدوا في مركز التجمع في فترات متباينة ، وتعرضوا للاستجواب من قبل مستجوبين مختلفين .

يعطي القادة الصهيونيون للاستجواب الاول (الاستجواب الثاني يتم في مطار اللد) أهمية بالغة : فالشخص القادم الى اسرائيل ، كان منذ ساعات على اراضي الاتحاد السوفييتي . ان اعصابه متوترة ، ولم يع بعد ما الذي حدث له ، لذا يجب الاستفادة من ذلك ! وهكذا ينصب على كل من تطأ قدماه مركز التجمع المعزول عن العالم الخارجي سيل من الاسئلة :

ـــ هل يوجد وسط معارفكم من الذين يعيشون في الاتحاد السوفييتي من يعمل في مجال الاختراعات والاكتشافات العلمية .؟

ـــ هل تعرفون عناوينهم بالضبط .؟